المبحث الخامس عشر

نظم الحياة المرئية وغير المرئية

« إن قمة الإعجاز العلمى فى النص القرآنى أن يشير لعالم ما لا نرى فى وقت كنّا نجهل فيه هذا العالم لعدم قدرتنا على رؤيته ».

د: عبدالمجيد الزندانى
الأمين السابق لهيئة الأعجاز العلمى
فى القرآن الكريم والسنة النبوية. رابطة
العالم الإسلامى. مكة المكرمة

منذ أن نزل الأنسان إلى الأرض، وهو يعتقد أنّ تعامله يقتصر فقط على ما يرى ويدرك، من الكائنات الحيَّة وغير الحيَّة الموجودة فى بيئته، والتى تؤثر فيه، ويؤثر فيها، لكنه لم يدرك أنّ ثمة كائنات حيَّة أخرى تشاركه الحياة على سطح الأرض، وتتأثر بنشاطه، ويتأثر هو بنشاطها، وقد تأخذ هذه العلاقة بين الأثنين علاقة النفع أو علاقة الضرر، وقد تكون علاقة النفع من جانب واحد، أو من جانبين فتأخذ صورة تكافلية أو تعايشية ورغم عدم رؤية الإنسان أو ادراكه لهذه الكائنات الحيَّة الاَّ أنَّ هذا لم يمنع تأثيرها فيه، والذى قد يودى أحياناً بحياته.

ومع التقدم الذى شهدته أجهزة الفحص الحيوى، والذى بلغت قوة تكبيرها مئات الملايين قدر الجسم الأصلى، بدأ الإنسان يتعرف على هذه الكائنات الحية ويدرس تركيبها، وكيفية أدائها لوظائفها والوسائل الممكنة لتطويعها لكى يستفيد منها.

ولقد سبق القرآن الكريم كل أجهزة الفحص الدقيقة فى كشف اللثام عن هذه الكائنات الحيَّة الدقيقة، وذلك ما نجده فى قول الله تعالى فى سورة الحاقة الآية (٣٨ ـ ٣٩).

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾.

إذن يوجد فى البيئة ما يعيش معنا، ولانبصره، ولكن قد نبصره مستقبلاً، ولذا كانت دقة اللفظ القرآنى ﴿وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ ولم يكن القول ـ ولله المثل الأعلى فى قوله ـ ﴿بِمَا لن تُبْصِرُونَ﴾، وذلك يمثل عطاءً من الله للإنسان ممثلاً فى تلك القدرات العقلية التى منحه إياها ليستخدمها فى كشف اللثام عن هذه الكائنات.